

مختصر ابن كثير

- 20 - ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم .
- 21 - طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا [] لكان خيرا لهم .
- 22 - فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم .
- 23 - أولئك الذين لعنهم [] فأصمهم وأعمى أبصارهم .
- يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد فلما فرضه [] D وأمر به نكل عنه كثير من الناس كقوله تبارك وتعالى : { فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية [] أو أشد خشية وقالوا ربنا لما كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب } ؟ قال D ههنا : { ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة } أي مشتملة على القتال { فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت } أي من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء ثم قال مشجعاً لهم : { فأولى لهم طاعة وقول معروف } أي وكان لهم الأولى بهم أن يسمعوا ويطيعوا أي في الحالة الراهنة { فإذا عزم الأمر } أي جد الحال وحضر القتال { فلو صدقوا [] } أي أخلصوا له النية { لكان خيرا لهم } وقوله سبحانه وتعالى : { فهل عسيتم إن توليتم } أي عن الجهاد ونكلتم عنه { أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم } ؟ أي تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام ولهذا قال تعالى : { أولئك الذين لعنهم [] فأصمهم وأعمى أبصارهم } وهذا نهى عن الإفساد في الأرض عموماً وعن قطع الأرحام خصوصاً بل أمر [] تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى البخاري عن أبي هريرة B عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوي الرحمن D فقال : مه فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال تعالى : ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذاك لك " قال أبو هريرة B : اقرأوا إن شئتم { فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم } . وروى الإمام أحمد عن أبي بكر B قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من ذنب أحرى أن يعجل الله تعالى عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم " (أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه) . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن لي ذوي أرحام : أصل ويقطعون وأعفو ويظلمون وأحسن ويسئون أفأكافئهم ؟

قال صلى الله عليه وسلم : " لا إذن تتركون جميعا ولكن جد بالفضل وصلهم فإنه لن يزال معك
ظهير من الله ما كنت على ذلك " (أخرجه الإمام أحمد) . وقال الإمام أحمد عن عبد الله بن
عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل
بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها " (أخرجه البخاري والإمام أحمد) وفي
الحديث القدسي : " قال الله أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن يصلها
أصله ومن يقطعها أقطعه فأبته " (أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي) وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : " الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف " وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا ظهر القول وخرن العمل
وائتلفت الألسنة وتباغضت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله وأصمهم وأعمى
أبصارهم " (أخرجه الإمام أحمد) والأحاديث في هذا كثيرة والله أعلم